ولا يليق بالنبي بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله
سبق فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل معناها لولا أنه
سبق مني أني لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا يمنع
أن يكون أمر الأسرى معصية وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب
السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا
القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم
ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا أنه
سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي
الذنب والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير
في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام
إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في
الأسارى إن شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفداء على أن يقتل
منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على
صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال
إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل
فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم

وكلهم

وكلهم غير عصاة ولا مذنبين وإلى نحو هذا أشار الطبري
وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه
إلا عمر إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ
بأخذه في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه وأن
هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين
عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك
عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت
ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا
نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الأمر إليه فيه وقد نزهه
الله عنه ذلك وقال القاضي [illegible] وقال القاضي
بكر بن العلاء أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن تأويله
وافق ما كتب له من إحلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا
فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر
بأزيد من عام فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله
فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة
أسراها والله أعلم إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه
في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)